

حضور الثورة في المسرح الجزائري – قراءة عقد الجواهر لمحمد بن قطاف-**Attending the revolution in the Algerian theater - reading the essay****contract by Muhammad bin Qataf**

الباحث (ة)	مؤسسة الانتماء	البريد الالكتروني
د. محمد الأمين بركات Mohamed AlAmine barkat	جامعة بسكرة (الجزائر)	barkatmohy@gmail.com

ملخص:

يعد المسرح جوهرًا للحياة وأكثر أنواع الفنون محاكاة للمواضيع الإنسانية، يحلل خلالها المسرحي بوعي إنساني أهداف وقضايا المجتمع، ومن أجل ذلك تروم هذه الورقة البحثية تفحص جوانب من مسرحية "عقد الجواهر" بما تحمله من نماذج للثورة الجزائرية، والصراع بين الاستعمار الفرنسي والشعب الجزائري، إلى غاية تحرير البلاد من المستعمر، مرورًا بمراحل مرت بها المقاومة الوطنية وصولًا إلى اندلاع الثورة التحريرية وتحقيق الاستقلال، هذه النماذج الثورية تجعل فهم المتلقي للثورة متداخلًا مع فهمه للقضايا الاجتماعية والثقافية المعاصرة للوصول إلى الهدف الذي يرمي إليه العمل المسرحي.

الكلمات المفتاحية: فهم، ثورة، الاستعمار، التاريخ، السياسة.

Abstract:

Le théâtre est l'essence de la vie et l'art le plus populaire des sujets humains, dans lequel le théâtre analyse la prise de conscience des objectifs et des enjeux de la société par l'être humain. L'objectif étant de libérer le pays du colonisateur, à travers les étapes franchies par la résistance nationale au déclenchement de la révolution de libération et à l'accession à l'indépendance, ces modèles révolutionnaires font en sorte que la compréhension du destinataire de la révolution chevauche sa compréhension des enjeux sociaux et culturels contemporains pour atteindre l'objectif du travail théâtral.

Key words: compréhension, révolution algérienne, colonialisme, histoire, politique

1. مقدمة:

تشكل مسرحية "عقد الجوهري" آلية تجريبية حديثة اعتمادا على تخيل وقائع الاحتلال والاستعمار لمحاولة لقراءة التاريخ، وفهم الواقع بآليات معاصرة ما أهلها أن تكون نموذجا خصبا تنفتح فيه القراءة على عدد لا متناهٍ من المدلولات، والهدف من قراءة التاريخ والواقع معا وفق رؤى فنية تنسجم مع روح الخطاب المسرحي الجزائري. ويعد "المسرح أفكارا تلقى من فوق خشبة المسرح كما تلقى الخطابة. والمسرح السياسي هو توضيح الحالة الاجتماعية والسياسية في بلد ما هو بلورة العواطف الثائرة في شكل منظم"¹.

"المعنى في المسرح هو الاستخدام المتولد من العرض وهو استخدام يقودنا إلى تداخل نوعين من الآليات:

- 1- آليات دلالية : تولد منظومات مغلقة على نفسها (النص، الخيال، الشفرات الجمالية، منظومة العرض المستقلة)
- 2- اشتقاقات سيمانطيقية : تحلل هذه المنظومات عن طريق ربطها برغبة تفسيرية خارجية وبفعل القراءة"².

الوقائع التاريخية هي عبارة عن " إعادة سرد الأحداث التاريخية الكبرى بل الإيقاظ الشعري للذين برزوا في تلك الأحداث وما يهم أن نعيش مرة أخرى الدوافع الاجتماعية والإنسانية التي أدت بهم أن يفكروا ويشعروا ويتصرفوا كما فعلوا ذلك تماما في الواقع التاريخي"³.

أدركت المسرحية الجزائرية "حس التجريب، وأوغلت فيه لتقدم للقارئ نماذج تتخذ من المادة التاريخية دعامة لها فلا يمكن أن نتناول عملا أدبيا إلا وفيه حضور الذاكرة"⁴، خاصة الثورة والمقاومة ضد الاحتلال.

إن استحضار التاريخ في الخطاب الأدبي له قيمة مضافة، ذلك أنه " موازاة إبداعية فنية تخيلية للواقع والتاريخ، موازاة فاعلة بمعنى أنها لا تقتصر على النقل

الواقعي التسجيلي للحوادث، وإنما تنزع إضافة إلى ذلك إلى البحث في مآزق الكائن في المكان⁵.

ومما يدل على براعة المسرحي في استلهاام التاريخ، الذي يمثل نوعا من امتزاج الثورة إلى الحاضر، فإن " قدرتنا على التخيل ليست سوى قدرتنا على التذكر ما مررنا به من قبل وتطبيقه على موقف مختلف فالخيال هو الوجه الآخر من الذاكرة سواء كان في حفظ السور وتنظيمها أو إعادة تركيبها وابتكارها"⁶، في سياق جديد.

عالج النص المسرحي المعاصر بوقائع هندام الثورة والاستدمار، حيث جسدت مراحل تاريخية وطنية للتحرير، جاليتها شخصيات إبان الثورة التحريرية، ومن أجل ذلك " يمكن من خلال شفافية الكتابة أن نرى النص الأول طي النص الثاني، وبذلك تغدو عملية القراءة مزدوجة يظهر فيها النص القديم من وراء أستار النص الجديد"⁷.

و من المشاهد التاريخية في المسرحية ما نلفيه في المقطع الآتي:

المنادي : (داخلا مسرعا) ...تجندوا تجندوا يا أهل البلد...

الوطن في خطر...

و العدو زاحف مستمر...

و ليبلغ موتاكم أحياكم...⁸

يجسد هذا المشهد واقعة تاريخية تحمل مدلولاً ضمنيا يحمل رمزا للنضال؛ الذي ينافح عن تحرير الوطن، دفاعا عن الذات، والحق الشرعي في الحياة، بحيث " تحيل على ما يبنيه النص من افتراضات وتوقعات، وحيل تعبيرية قبلية، والثانية تحيل على دور القارئ والطريقة التي يتقدم بها إلى النص في مضمار الاستراتيجية نفسها، وفي هذا الإطار يفترض القارئ حيازة مجموعة من الوسائط للتحرك تأويليا بنفس الصيرورة التي تحرك بها المنتج توليديا"⁹.

وتبادر في ذهن المتلقي للمسرح الثوري، الذي يجسد ملامح الإصرار والشجاعة

في الحصول على الحرية، ومنه يحاول معالجة قضايا معاصرة في المجتمع

إن عودة المسرحي إلى التاريخ تتجاوز الواقع حاضرا و ماضيا، بحيث " تعمق الإحساس بضيق الوطن يتعزز ارتباطهم بالشخصية ويتكاثف جهدهم في بناء مدن متخيلة باللغة أو تصوير أوطان حلمية من خلال التاريخ"¹⁰.
ويقول في سياق آخر:

الجيش: إلى الجزائر... إلى الجزائر

دوبرمون: فرنسا هنا و تبقى هنا (مشيرا إلى الجزائر) فرنسا ستأخذ كل هذه البلاد الواسعة الشاسعة لتحرير سكانها من الفقر والجوع و المرض.. و لو أنهم برابرة متوحشون، ما عندهم لا إيمان لا خوف الرب، فنحن المحررون ، نحن المتحضرون، باسم المسيحية نحمل لهم حضارتنا الراقية، و إنسانيتنا و أهدافها لسامية...سيروا إليهم بلا خوف...سيستقبلونكم كمحررين لا كمستعمرين ...

الضابط: ما تتوقعيش تأخذهم غيرة وطنية و يقاتلونا؟

دوبرمون: وحوش متكالبة على بعضها ما يفهموش ما هي الروح الوطنية...هم عبارة على مجموعات و قبائل هاملة و منتشرة في طول البلاد و عرضها...و أول ما يشوفوكم يهربوا للجبال"¹¹.

و ورد في مقطع آخر:

" ساعد: خست يا كذاب...العزة ما تفنى ما تموت...العزة متفرقة في قلوب الرجال. الكتلة: عزتنا ثابتة في التراب...في الشجر و الحجر...في قطرة الماء الجامدة.. في رؤوس الجبال الشامخة...عزتنا تهب مع الريح الطالعة...عزتنا من السماء في الأمطار نازلة...في سحب اكحل...في بريق يشعل...في بركان جهل. في النجوم في الشمس الضاوية عزتنا ثم ... ساعد: العزة ما تفنى ما تموت...العزة متفرقة في قلوب الرجال..."¹²

و ما يلاحظ على هذا المقطع التاريخي علامات الوفاء للوطن والنضال من أجل الحرية و تحريرها من المغتصب، والإصرار على الانتصار ومحاولة تجاوز العقبات، ذلك أن هذا الحدث مختزلا للهوية الجزائرية و اندفاع في سبيل الوطن، والدفاع عن قيمه، و مبادئه ضد الآخر الأجنبي.

يتبدى لنا في ضوء ما سلف أن " المسرح أفكار تلقى من فوق خشبة المسرح كما تلقى الخطابة و المسرح السياسي هو توضيح الاجتماعية و السياسية في بلد ما هو بلورة العواطف الثائرة في شكل منظم"¹³، انطلاقا من معالجة كل المشاكل الاجتماعية و الفكرية التي يتخبط فيها الجزائري.

وشكلت حوار الشخصيات التاريخية مصدرا سخيا من مصادر الإلهام الذي تجلى في عرضها لمعاناتها في عصرها، وواقعها الذي عاشته، حيث "اعتمد الذاكرة الشعبية ممثلة في عجوز هي محور المسرحية و الشاهدة على بطولة شعب مجيد"¹⁴ انطلاقا من هذه الرؤية الثورية، يحاول المسرحي دمج الثورة بقضايا سياسية بما ما يحمله من شحنة اندفاعية للتغيير، و من خلال " البحث عن الهوية الضائعة بين نظام هجين لم يفلح في إقامة مشروع مجتمعي متماسك و حركات تنمو وسط الفساد "¹⁵. تجسّدا لثورة في المسرح الجزائري هموم و مشاكل الفرد والمجتمع، فهي وسيط للتعبير عن ما يعانيه في وطنه من قمع السلطة، والاحتلال الاستعماري، ورصد ظواهر الانهزام في الحاضر.

وعلى هذا الأساس، فإن " المسرح السياسي لا يوضح رؤيا و سياسية فقط، فدوره يتمثل أولا في مناقشة الواقع المعاش، تناقضاته على كل المستويات السياسية اجتماعية أو اقتصادية، لأن هذا الواقع هو ما يهم جمهور المسرح السياسي قبل أن يدخل في مناقشة الرؤى المستقبلية"¹⁶.

استنادا على ذلك يصبو محمد بن قطاف بحثا عن حل جماعي للواقع الجزائري " فيصور مشاكل الحياة الشعبية التي تؤدي إلى الأزمة التاريخية "¹⁷، لأجله " تحمل الثورة دلالات متنوعة أهمها أنها تحاول معالجة الهوية " في زمن تاريخي "¹⁸.

وبناء على ذلك، فإن " المسرح السياسي عمل على خدمة الثورة ضد الأوضاع القائمة لأنه يهتم بالفرد، ويحاول تصوير شخصية، لأن لا يتعرض لمشكلة فردية بل مشكلة جماعية، ومن هنا لا نرى سوى تقديم الجماعة التي تمسها المشكلة "¹⁹.

فالمبدع المسرحي قام بصياغة رؤى ثورية في قالب فني من أجل إثارة أحداث مهمة لها معانٍ ودلالات في مواجهة كل أشكال الاحتلال، "فتصير حقيقة جمالية بعدما كانت حقيقة تاريخية"²⁰.

قدم محمد بن قطاف تقديمًا متكاملًا للتصورات، ليسوق بنا إلى شهادة الاعتزاز بالنضال البطولي، وتقديم التضحيات في سبيل الحرية، "وكل ذلك يعمق التواصل الفكري والثقافي والسياسي لأن النص يدخل في حوار مع النص السابق عليه رغم اختلافهما في الزمان، وتباعدهما في المكان فيستدعي الذاكرة التاريخية ويسلط الأضواء على قضايا مهمة مثل الاستعمار"²¹.

استطاع محمد بن قطاف أن يصور من الثورة لنا أبعادها الإيحائية، "وبهذا المنظر يحاول فتح سجلات التاريخ لمنحها رؤى مغلفة بقضايا الحاضر تعين على محاورة الواقع وتجيّب على أسئلته، وتحدد ردود أفعالنا حيالها والاستفادة من تجاربه ومن خلال التحلي بقيمه"²².

خاتمة:

وصفوة القول، مثلت الثورة في المسرح الجزائري باعتباره آلية فنية وجمالية، لها خصوصيتها التي تعبر عنها، ذلك أنها تاريخ مجيد يعتز به كل جزائري، ومصدرا سخيا لزرع بذور الشجاعة، والإصرار في نفسه، ومنه، الثورة رسالة للشباب الحاضر حتى يستلهم رؤاه وتصورات النضالية.

قائمة المراجع:

¹- سهيلة بلحوالة، الكتابة في المسرح الجزائري محمد بن قطاف أنموذجا، إشراف: حمومي أحمد، أطروحة دكتوراه،

جامعة أحمد بن بلى كلية الآداب والفنون، وهران، الجزائر، 2016/2015، ص 90.

- عصام الدين أبو العلا، آليات التلقي في دراما توفيق الحكيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ب ط، 2007، ض 20².
- ³ - أميرة بوقلمون، أزمة الذات في الرواية التاريخية رواية حوبة و رحلة البحث عن المهدي المنتظر لعز الدين جلاوي، إشراف سامي الوافي، مذكرة ماستر تخصص أدب عربي حديث و معاصر، جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي، الجزائر، 2018/2017، ص 6.
- ⁹ - بن سعدة هشام، بنية الخطاب السرد في رواية شعلة المائدة، إشراف قريش أحمد، لنيل الماجستير، تخصص النقد الأدبي العربي المعاصر، 2014/2013، ص 55
- ¹¹ - لحسن كرومي، جماليات المكان في الرواية المغربية، إشراف: عبد الملك مرتاض، رسالة دكتوراه في الأدب العربي، جامعة وهران، الجزائر، 2006/2005، ص 64.
- ⁶ - جابر عصفور، زمن الرواية، د ط ، القاهرة، د ت ص 247.
- ⁷ - المرجع نفسه، جابر عصفور، 72/71.
- ⁸ - محمد بن قطاف، مسرحية عقد الجواهر، نص مسرحي مخطوط - المسرح الوطني الجزائري- ص 35.
- محمد بشير بويجرة، دينامية و جمالية التلقي في الرواية الجزائرية المعاصرة، إشراف: بوسكين مجاهد، لنيل شهادة
- ⁹ -الدكتوراه في الأدب العربي، جامعة وهران كلية الآداب والفنون، ، 2016/2015، ص 76.
- ينظر: إبراهيم رماني، المدينة في الشعر العربي الجزائري أنموذجا، الهيئة العامة للكتاب، ط1، مصر، 1997، ص 31¹⁰.
- ¹¹ - محمد بن قطاف، ص 16/15.
- ¹² - محمد بن قطاف، ص 22.
- 20- سهيلة بلحوالة، الكتابة في المسرح الجزائري، ص 90.
- ¹⁴ -المرجع نفسه، سهيلة بلحوالة، ص 92.
- ¹⁵ - المرجع السابق، بن سعدة هشام، ص 60.
- ¹⁶ - المرجع السابق، سهيلة بلحوالة، ص 94.

¹⁷- قاسم عبد قاسم، إعادة قراءة التاريخ، كتاب العربي 78، ط1، وزارة الإعلام، الكويت، 2009، ص 76.

- المرجع السابق، محمد بشير، الدينامية وجمالية التلقي في الرواية الجزائرية المعاصرة، إشراف: بوسكين مجاهد،

¹⁸لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي، جامعة وهران كلية الآداب والفنون، 2016/2015، ، ص 90/89.

¹⁹- سهيلة بلحوالة، ص 96.

- جمال بولسهم، آليات التجريب الروائي في الخطاب الروائي الجزائري، إشراف: محمد داود، شهادة الماجستير جامعة

²⁰وهران كلية الآداب واللغات والفنون، 2008، 2009، ص 252.

- زاوي أحمد، 2015/2014، بنية اللغة الحوارية في روايات محمد مفلح، إشراف: عبد الحليم بن عيسى، أطروحة

²¹دكتوراه لغة عربية، جامعة وهران كلية الآداب والفنون، الجزائر، ص 71.

²²- المرجع السابق، محمد بشير، الدينامية و التلقي، ص 133.